إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة الثالثة –العدد الثانی عشر –شتاء ۱۳۹۲ش/كانون الأول ۲۰۱۳م
صص ۱۰٦ ـ ۸۱

مفهوم الحرية بين النقد والدراسة
قراءة تحليلية مقارنة فی كتابات مطاع صفدی وسارتر أنموذجا

أحمدرضا حيدريان‌شهری*
منير زيبائی**

الملخص

الوجودية اصطلاحاً تيار فلسفی وأدبی يعتمد على الحرية الفردية والمسؤولية والنسبية، وتؤكّد هذه الفلسفة التی يكون فيها الفرد أساساً لأیّ تغيير وتطور على مصير الفرد وحريته. إنَّ إشاعة هذه الفلسفة عبر الأدب سببت فی وقوع فكرة الوجودية فی مركز انتباه الكتاب السوريين وجعلتهم يعالجون فی أدبهم قضايا مثل: الحرية، والقرار، والاختيار، والمسؤولية والالتـزام. وقد مال "مطاع صفدی" أكثر من الكتاب الآخرين إلى هذه الفلسـفة وتأثر بـ"سارتر" وأفكاره الوجودية خاصة بمواقفه الثورية تجاه الحرية الفردية؛ وبناءاً على هذا يعتبر صفدی الإنسان مسؤولاً عن مصيره والخالق الوحيد لقيمه، وهو الذی يجب أن يحقق حريته اعتماداً على ذاته فحسب. إنَّه لا يرفض فی هذا السياق العلاقة مع الآخرين رفضاً تاماً بل يقبل ذلک فی إطار خاص ويرى أنَّ الالتزام العام لا يقضی على خصوصية الفرد، ولكنه يغطی سوالبه وتناقضاته.

تعالج هذه المقالة دراسة مفهوم الحرية من وجهة نظر صفدی بمنهج تحليلی مقارن، وتبرز مدى تأثر هذا الكاتب السوری بأفكار سارتر فی إظهار مفهوم الحرية فی كتاباته ويبين كيفيته

المفردات الدليلية: الوجودية، الوجود، الإنسان، الحرية، صفدی، سارتر.

---

*. أستاذ مساعد بجامعة فردوسی فی مشهد، إيران. heidaryan@ferdowsi.um.ac.ir
**. طالبة مرحلة الدكتوراه بجامعة فردوسی فی مشهد، إيران.
التنقيح والمراجعة اللغوية: د. هادی نظری‌منظم
تاريخ الوصول:۹۲/۳/۱۰ تاريخ القبول:۹۲/۱۰/۱۳

المقدمة

الحرية مفهوم من المفاهيم الكبرى التى تحكم وعى الإنسان فتحرك مشاعره وتوجّه فعلـه، وهى لذلک من المفاهيم التى يصعب تحديدها تحديداً جامعاً ومانعاً، نظراً لتأثرها بالخـبرة الاجتماعية وارتبـاط معانيها بجملة من المفاهيم المسـاوقة. فلها مفاهيم عدة تختلف على حسـب زاوية الرؤية التى ننظر منها لهذا المصطلح. والحقيقة أن الحرية من مقومات بقاء واسـتمرار الإنسان والمجتمعات البشـرية ولا نبالغ إذا قلنا إن الإنسان لا يحيا بدون الحرية. فالكائن البشـرى لا يسـتطيع الاسـتمرار فـى حياته بدون هذا العامل؛ فيحتاج إلى الحرية ليؤكد من خلالها إنسانيته وكرامته. ولذلک نرى البشرية منذ وجودها، وهى فى كفاح ونضال مسـتمرين من أجل الوصول إليها وامتلاكها والحفاظ عليها.

ولقد سـعى الأدب كما سعت الفلسـفة والديانات إلى تقديم تصور محدد عن الحرية ظنـاً منها أنها تجلب الأمن والطمأنينة وتحرر الإنسـان مـن العبودية. ممن تصدوا لهذا الموضوع وعرضوا لدراستها هم الكتّاب الوجوديون خاصة الفرنسى "جان بول سارتر" الـذى أعلن أنه المدافع الأول عـن الحرية الفردية. بدأت الثقافـة العربية تتعرف على سـارتر وأدبه منذ الخمسـينات، وفتنت أفكار سـارتر والمفاهيم الوجودية فى أعماله الأدبيـة كالالتـزام، والحرية، والاختيار، والمسـؤولية بعض الكتاب السـوريين، وهى مفاهيم تسـتجيب لما كان يتطلع إليه المثقف العربى لتدعيم تطلعاته القومية ذات الأفق التحررى والمضمون الاجتماعى الاشتراكى. وبما أنّ مطاع صفدى كان من أبرز الكتاب القوميين الذين لقيت أفكار سـارتر الوجودية ترحيباً بالغاً عندهم، وكان لموقف سارتر الثورى إزاء الحرية الفردية، ودعوة الإنسـان إلى تحمل مسـؤولية مصيره معتمداً على ذاته أثر مباشر فى تبنى صفدى لهذا المفهوم فى كتاباته، فيُطرح سؤالان؛ الأول: ما مدى تأثر صفدى بسـارتر فى فكرة الحرية؟ والثانى: كيف تجلّت هذه الفكرة وانعكسـت فى روايات صفدى؟ وللإجابة عنهما يحاول المقال إلقاء الضوء على حرية صفدى من خلال روايتيه: "جيل القدر" و"ثائر محترف"، ثمّ يدرس الفكرة ويقارنها بحرية سـارتر المنتشرة فى أعماله كـ"الغثيان" و"الأيدى القذرة" و"الذباب" و"سـن الرشد" ليصل إلى أنّ صفدى

كان تلميذا لسارتر فى فكرة الحرية، ولفهم معنى حريته علينا أن نعود ونستند إلى سارتر وأفكاره فى هذا المجال.

خلفية البحث وضرورته

الحريــة من أهم الموضوعات الفلســفية التى شــغل الباحثين من قــديم الزمان وما برحت تؤرق مفكرى اليوم. فقد كتب عنها كثيرا وقد اهتم الباحثون بفلسفة سارتر وأدبه بوصفــه المدافع الأول عن الحرية الفردية، ومنهم ســعاد حرب فى كتابه "الأنا والآخر والجماعة" حيث ألقى فيه الكاتب الضوء على فكرة الحرية عند سارتر، كما ألّف حبيب الشــارونى كتاباً باســم "فلسفة جان بول ســارتر" ودرس فيه حرية سارتر من مختلف الجوانــب. وهناك كتاب لعلى حنفى محمود بعنوان "قراءة نقدية فى وجودية ســارتر"، حيــث تحدث فيــه الكاتب عن الحرية وتطورها فى فلســفة ســارتر، وألّف جنويو إيد كتاباً بعنوان "تفسير على غثيان سارتر" الذى قد ترجم إلى الفارسية على يد محمدتقى غياثى، كما ألف آيريس مردوک كتاب "دراســة ونقد روايات جان بول سارتر" واهتم فيه بتحليل ودراسة أفكار سارتر فى رواياته. هذا بالنسبة إلى سارتر وأما عن صفدى وتأثره بأفكار ســارتر فقد ألّف الكاتب السورى نفســه كتابا عن الحرية باسم "الحرية والوجــود" وما جرت فى أدبه من الأعمال والدراســات لاتتعدى مقالات توزعت فى الصحف والمجلات أو بحوث وردت فى ثنايا الكتب وهى تدرس سمات عامة لرواياته؛ منها كتاب "اتجاهات القصة فى ســورية" لإبراهيــم الأطرش، و"روايات تحت المجهر" لحسام الخطيب، ودراسات فى الرواية السورية فى مجلة الموقف الأدبى.

إذن هناک دراســات عدّة لأدب سارتر وصفدى، كما تطرّق كثير من الدارسين إلى موضوع الحرية فى فلســفة ســارتر وأدبه، ولكن لم يجد كاتبا هذا المقال دراســة تعالج تأثر صفدى بأفكار ســارتر الوجودية أو التى تتناول بوجه خاص موضوع الحرية فى روايات هذا الكاتب السورى. ولهذا يحاول المقال التطرّق إلى هذا الموضوع.

إن معرفة صفدى لفلســفة الغرب وآرائه الثورية حــول الحرية عرّفته إلى قرّاءه من غيرالعــرب كمفكــر وجعلت النقاد والباحثــين يغفلون قصص الكاتــب ورواياته التى

تتضمن أفكاره وتعكس تأثره بفلسفة الغرب وفلاسفته خاصة سارتر. ومن هذا المنطلق وجدنا ضروريا تقديم البحث من هذا المنظار.

لننظر إلى حياة كاتبين نريد دراستهما نظرة عابرة ثم ندخل فى الموضوع الرئيس للمقال.

نبذة عن صفدى وسارتر

صفدى

كان مطاع صفدى (؟-١٩٢٩) من المفكرين البارزين فى تنظيم حزب البعث العربى الاشتراكى خلال فترة الخمسينات، ومن العاملين لإعادة الوحدة بين سورية ومصر. قد برز إلى ميدان الفن القصصى منذ عام (١٩٥٣م) بقصته "صفعة سوط". وحاول -وهو من أقوى الأصوات المتبنية للاتجاه القومى فى الخمسينات والستينات- اتكاءاً على معرفته بفلسفة الغرب، العثورَ على عقائديته ضد الماركسية فى الفلسفة الوجودية، ولا سيما فى أفكار سارتر وكامو، التى انتشرت فى أوساط المثقفين العرب. والتجربة التى يصدر عنها «الكاتب فى قصصه ورواياته، هى تجربة وجودية، فكان أدبه تبعاً لذلك أدباً وجودياً قومياً. والربط الذى اعتمده بين المفاهيم الوجودية والفكر القومى الاشتراكى قد منح نتاجه ملامح أصيلة، ساعدت على انتشاره بين عامة الناس وخاصتهم. إنه أراد من وراء أعماله القصصية إغناء العقيدة القومية عن طريق مفاهيم الوجودية، لتكون عوناً للمفكرين والأدباء القوميين فى مواجهتهم الفكرية والسياسية والفنية للعقائد الأخرى، التى كانت تتصارع على أشد ما يكون الصراع فى الخمسينات.» (الأطرش، ١٩٨٢م: ٢٦٢-٢٥٤) أبرز مؤلفاته هى: أشباح أبطال "قصص"، الآكلون لحومهم "مسرحية"، جيل القدر وثائر محترف "روايتان"، والثورى والعربى الثورى "دراسة".

سارتر

جان بول سارتر (١٩٨٠-١٩٠٥) فيلسوف، وروائى، وكاتب مسرحى، وناقد أدبى، وهو من أبرز الشخصيات فى الحياة الفكرية الفرنسية والعالمية فى القرن العشرين ومن أعلام الفلسفة الوجودية. لقد طرح نظرية الوجودية -فى البداية- بالتركيز على علاقة

الإنسان مع حريته فى كتابه "الوجود والعدم" متأثّراً بالمادية ومدح الالتزام فى كتابه "نقد العقل الجدلى". وفى أعماله الأدبية المختلفة سواء فى مجموعاته القصصية ورواياته كـ"الغثيان"، و"دروب الحرية"، أم فى أعماله المسرحية كـ"الأيدى القذرة"، و"الذباب"، و"الأبواب المقفلة" يعبر سارتر بوضوح عن أفكاره وتفاعله مع أحداث عصره.

الوجودية؛ تعريفها، تاريخها، وأبرز مبادئها

«تعد الوجودية أحدث المذاهب الفلسفية وأهم حركة فكرية تركت أثرها على الأدب المعاصر فى أوروبة وفى أرجاء العالم، وهى أصدق تعبير عن حالة القلق العام الذى تملك العالم الشعورُ الحادّ به بعد الحربين العالميتين.» (بدوى، ١٩٨٠م: ١٩) «ولم تتشكل الوجودية باعتبارها تياراً فلسفياً إلا فى النصف الأول من القرن العشرين فى الحضارة الغربية على يد الفيلسوف الدانمركى "كيركجور"، فهو مؤسسها الأول.» (استراترن، ١٣٧٨ش: ١٠) «ومن روادها "نيتشه" و"مارتن هيدجر" و... إلا أنها دخلت مجال الأدب على يد فيلسوفين فرنسيين: "غابرييل مارسيل" و"جان بول سارتر"، وزاد إقبال الجمهور عليها أن فلاسفتها قدموا رؤيتهم الفلسفية عبر الأدب.» (بدوى، ١٩٨٠م: ٢٥)

«ما يميز الفلسفة الوجودية أولاً هى أنها تجعل الوجود سابقاً على الماهية.» (المصدر نفسه: ٢٣) أى أن على الإنسان أن يصل إلى اكتشاف معنى حياته عن طريق الفعل الحر بعيداً عن كل إكراه خارجى مهما كان مصدره. بمعنى آخر، يبدأ الفرد فى تكوين ماهيته وتحديد صفاته بكامل حريته، لأن هذا العمل هو الذى يميزه عن غيره من الكائنات الجامدة أو الموجودات الأخرى. ومادام الإنسان هو الذى يصنع حياته، وهو الذى يصنع قيمه فلابد أن يكون حراً، لأن الفعل يتضمن الحرية.

«ويحتل موضوع الحرية أهمية خاصة فى الفلسفة الوجودية وعند فلاسفة الوجود على اختلاف مذاهبهم ومعتقداتهم. والحرية هذه توحى باختياره الذى يجعل على عاتقه المسؤولية تجاه الآخرين، ولكن حينما ليس بمقدوره القيام بمهمته، يدركه اليأس والحزن وهذا النوع من الحزن واحد من مضامين الأدب الوجودى.» (إبراهيم، ١٩٦٣م: ٢١٠)

«ترفض الوجودية القواعد والقيم الأخلاقية الخارجية، أى تلك التى أوجدها

المجتمع، وتصر على أن الإنسان هو وحده يختار قيمه وأخلاقه داخل إطار حريته. والوجوديون يرفضون التمييز بين الذات والموضوع، ويقللون من قيمة المعرفة العقلية فى ميدان الفلسفة، بل ينبغى بالأحرى التعامل مع الواقع.» (نصرى، ١٣٧٥ش: ٤٤) فالقلق والمسؤولية وموقف الإنسان فى العالم، والحرية، والفعل الخالق، هذه كلها هى المعانى الكبرى التى تنطوى عليها الوجودية.

إن هذه الخصائص المشتركة بين الفلاسفة الوجوديين لا تعنى وجود تيار فلسفى واحد، إذ نجد خلافات عميقة بين ممثلى الوجودية، يكفى أن نشير إلى وجود تيارين فى هذه الفلسفة: وجودية ملحدة "هيدجر، سارتر، كامو..." ووجودية مؤمنة "كيركجور".

الحرية الوجودية؛ معناها وما يترتّب عليها

«لقد سادت بعض المفهومات المغلوطة عن الحرية الوجودية نتيجة سوء فهم رافق تطور هذه الفلسفة. ولم تتوقف الهجمات ضد هذه الفلسفة بسبب موقفها من الدين أولاً ثم بسبب دعوتها إلى الحرية الفردية المطلقة ثانياً.» (غالب، ١٩٩٠م: ٦-٥) إن الإنسان قد دأب منذ فجر التاريخ على التمرد والثورة من أجل امتلاك حريته كاملة دون نقصان. «لأن الحرية هى الوجود الإنسانى ذاته، أى إنه لا إنسانية دون الحرية.» (ماكورى، ١٩٨٢م: ٢٠٠) قد تكون الحرية خطرة لكن ليس ثمة كرامة بشرية بغير حرية. فالإنسان يعتقد بحريته المطلقة، ولذلك هو سيد نفسه وإليه يعود تقرير مصيره، وتحمل مسؤولية وجوده من خلال قهر كل العوائق التى تحاصره من كل الجهات.

امتلاك الحرية يعنى عدم الخضوع لأية ضغوط خارجية، ومن هنا فإن الحرية الحقيقية هى التى تولد من الداخل نفسه ولا تعتمد على أى مصدر آخر. هناك من أعطى للحرية معنى سياسياً، أى أن يكون الفرد حراً أمام السلطة السياسية التى تحكمه. وآخرون رأوا فى الحرية بعداً أخلاقياً عندما لا يفرض على الإنسان عمل ما لا يرغب فى عمله. وفريق ثالث توقف عند حرية التعبير والحرية الدينية والحرية الاقتصادية، ولكن الحقيقة المتعارف عليها فلسفياً هى أن امتلاك هذه الحريات لا يعنى أبداً أن الإنسان قد أصبح حراً وسيد نفسه.

عندما نتحدث عن الحرية فإننا لاننسى أنها لا تزدهر إلا فى ظروف صحية، لأنها خارج الزمن، ولا يمكن حصرها فى لحظة متميزة، إنها تحتل كل ساحة حياتنا الأرضية. إننا بحاجة لها فى كل لحظة من لحظات حياتنا لأنها ملازمة لوجودنا وعندما تغيب فإن الوجود يصبح ناقصاً. ويكون هذا فى حالة وجود حواجز أمامها، وعلينا أن نعمل لإزالة هذه الحواجز. وهكذا فالحرية كفاح مستمر لأننا لا يمكن أن نمتلكها مرة واحدة.

«ولقد سعى الأدب كما سعت الفلسفة والديانات إلى تقديم تصور محدد عن الحرية ظناً منها أنها تجلب الأمن والطمأنينة وتحرر الإنسان من العبودية، ولكن الأحداث تثبت أن لا شىء حتى الآن استطاع تحرير الإنسان، ولهذا هناك دائما من يريد التصدى لهذا الموضوع، ومن هؤلاء فلاسفة الوجود. فلا نكاد نجد موضوعاً أقرب إلى قلب الوجوديين من الحرية، فهو يعالج عند جميع الكتاب الوجوديين، وليس الاهتمام بالحرية، أو بالأحرى الافتتان بها محصوراً فى أى طائفة خاصة منهم. ولقد أصر سارتر على قضية ملازمة الحرية للوجود الإنسانى؛ فالإنسان لا يوجد أولاً ثم يصبح حراً بعد ذلك، بل إن كونه إنساناً معناه أنه حر بالفعل.» (المصدر نفسه: ١٩٧-١٩٦) إن الإنسان الذى يحمل على كتفيه عبء حريته الخاصة، ووجوده المتميز بالاعتماد على ذاته مجبر على سحب كل مسؤولياته من أية قوة علوية. عند ذلك تكون الذات الإنسانية هى مصدر الخير والشر والقيم الأخلاقية التى تسير على هداها. إنه حر، وإذا لم يرد ذلك فلأنه يرفض أن يكون حراً، هذا هو جوهر فكر سارتر. ولا يختار الإنسان أعماله فقط بالاعتماد على هذه الحرية، ولكنه يخلق القيم التى تبررها. ومن هنا فهذه الحرية ليست حرية الاختيار، بل هى حرية ومقدرة على الفعل، وأساس الوجود البشرى.

الإنسان الهدف النهائى لحريته الخاصة التى يمتلكها كاملة دون أى حدٍ، لأنه ليس هناك فى فكره ما يمكن أن يحدها. يفرض هذا على الإنسان أن يكون مسؤولاً عن حياته كاملة. طالما أنه حر ويختار ما يريد ويلتزم به فهو مسؤول أمام نفسه عن اختياره. ولكن الخطر يكمن هنا فى صعوبة الاختيار الحر فى عالم تتغير فيه القيم بسرعة كبيرة. وهكذا يمكننا أن نتصور حالة شخص يلتزم مبدأ معيناً على نحو جاد ودائم، ولكن على ضوء المتغيرات التالية فإنه قد يقرر أن اختياره لم يكن موفقاً ليس لأنه لم يلتزم به هو،

بل لأن تغير العالم هو الذى جعله يكتشف أن اختياره لم يكن ناجحاً. ومن هنا ينشأ القلق الوجودى.

«إن القرار وحرية الاختيار والمسؤولية المترتبة على ذلک تجعل الموجود البشرى أمام نفسه وجهاً لوجه بطريقة لابد أن تثير القلق.» (المصدر نفسه: ٢٠٢) «وعلى الرغم من اختلاف معنى هذه اللفظة عند الفلاسفة الوجوديين فإنهم يتفقون جميعاً على أن القلق يكشف بطريقة خاصة عن الوضع الإنسانى.» (المصدر نفسه: ١٨٣) «القلق ملازم للحرية، والحرية فعل إنسانى لا بل هى جوهر الإنسان. وما دامت كذلک فمن الطبيعى أن تنتاب الإنسان حالة قلق متواصل تدفعه باستمرار للارتقاء إلى مستوى المسؤولية الملقاة على عاتقه. فالقلق الوجودى ليس سلبياً وهدّاماً وإنما يدفع صاحبه إلى حسن الاختيار واتخاذ القرارات المناسبة بعد دراستها من كل جوانبها، لأنه يعرف أنه سيتحمل فى النهاية وحده مسؤولية هذا الاختيار.» (سارتر، ١٩٦٤م "أ": ٢٣-٢٢) ومن هنا ندرک سرّ اهتمام فلاسفة الوجود ولاسيما سارتر بمشكلة الحرية.

إن حرية سارتر المطلقة قد فتنت بعض الكتاب السوريين، فبدأوا يعالجون فى أدبهم مسائل مثل: الحرية، والقرار، والاختيار، والمسؤولية، والالتزام. سنحاول بعد قليل تقديم نماذج من روايتين: "جيل القدر" و"ثائر محترف" لصفدى، كى نبيّن قصده من الحرية من جهة، وندرس ونبحث آراء سارتر حول الحرية، مع الإتيان بشواهد من بعض أعماله كـ"الغثيان"، و"الأيدى القذرة"، و"الذباب"، و"سن الرشد" من جهة أخرى، ونبرز بذلک صدى الأفكار الوجودية لسارتر فى أعمال صفدى، ونؤكّد تأثيره فى هذا الكاتب السورى. وانطلاقاً من ذلک نرى من الضرورى أن نعطى نبذة موجزة عن الأعمال المطروحة على بساط البحث قبل كلّ شىء:

جيل القدر

«إن "جيل القدر" رواية فلسفية زاخرة بالآراء والمناقشات والإشارات الفكرية، والجو العام للرواية يحمل معظم الملامح العامة للوجودية. ومن ناحية التأثيرات الوجودية تحاول الرواية التوصل إلى فهم وجودى للإنسان من خلال ذاته وعن طريق

المعاناة المستمرة والجدل المتواصل. إن القيم الأساسية ووسائل التفكير على الرواية ذات طابع وجودى سافر. ثم إن العلاقة العاطفية التى تستمر خلال الرواية علاقة مفهومة من خلال المصطلحات الوجودية.» (الخطيب، ١٩٩١م: ١٠٧)

والرواية تضم نماذج مختلفة من أبناء الجيل العربى السورى فى خمسينات القرن العشرين وفى وسط هذه المجموعة الزاخرة تتحرك الشخصية المركزية وتحرك الجميع. إنه "نبيل" طالب الفلسفة الفقير، الفنان، المناضل الذى يمثل قلب حركة البعث، والتقاء النضال القومى بالوعى الوجودى، ومنتهى التناقض والإشكالية، والذى أراد له الكاتب أن يكون أسطورةً ولغزاً وواقعاً فى وقت واحد، وأن يكون نفسه وجيله فى وقت واحد أيضا، على أن لا يكون تركيبا لهذه التناقضات، بل يكون خلقاً جديداً.

ثائر محترف

«تعتبر رواية "ثائر محترف" امتداداً للمحاولة الضخمة التى بدأها صفدى فى "جيل القدر" لشحن الموقف القومى بمضمون وجودى، ولكن هذا الامتداد يفتقر إلى توهج المحاولة الأولى وحماستها وجسارة ادعاءاتها، ويحمل آثار صدمة فكرية ونفسية أصابت المحاولة فى صميمها.» (الخطيب، ١٩٧٣م: ١٢٥) وتدور الرواية حول موضوع رئيسى هو الثورة الشعبية اللبنانية، والظروف التى أحاطت بها، وبعض أحداثها الرئيسية، والنهاية المحزنة التى انتهت إليها، مع محاولة الكشف عن نفسيات الثوار فى البلدان العربية المختلفة والعناصر التى تدخل فى تركيب عقليتهم الثورية والجوانب السلبية التى أدت إلى إخفاق الثورة. وتعرض هذه المادة السياسية الفلسفية النفسية الاجتماعية من خلال منظار واحد فى الرواية كلها، وهو منظار الثائر المحترف "كريم" الذى قضى خمسة عشر عاماً فى إسهام مستمر فى الثورات العربية، وتردد كثيرا قبل أن ينخرط فى صف الثورة اللبنانية لأنه كان فى مرحلة إعادة نظر.

نتاجات سارتر

الغثيان

«إنّ "الغثيان" هو الرواية الأولى لسارتر، والتى تشمل أفكاره النظرية، إضافة

إلى ميوله السياسية. ويتناول هذا الكتاب -وهو أقوى رواياته الفلسفية- الحرية، والشخصية البرجوازية، وظاهراتية الإدراك، وحقيقة التفكير وطريقته، والمذكّرات، والفنّ. ويتمّ طرح هذه المواضيع برمَّتها عقب الكشف والشهود الناتجين من الميول الميتافيزيقية لـ"أنطون روكنتان" بطل الرواية. وهذه المكاشفة -بتعبير فلسفى- هى الكشف عن نقطة ألا وهى أنّ العالم له حقيقة محتملة، ونحن نرتبط به من خلال العقل والبرهنة، وليس الحدس والمكاشفة.» (مردوک، ١٣٥٣ش: ١٤) يتوصّل "روكنتان" -هذا المؤرّخ المكتئب والمنعزل الذى تتمحور الرواية حول شخصيته- إلى قناعة بأنّ الأشياء الجامدة والمواقف المختلفة تخلُّ بتعريفه للذات وحريّته العقلية والروحية، ويؤدّى به هذا العجز إلى الغثيان. هذه الرواية من الأعمال البارزة للمذهب الوجودى.

الأيدى القذرة

يعرض سارتر فى مسرحيته "الأيدى القذرة"، الماركسية المثالية لديه؛ وهى التى لن يكون لها فاعلية وكمال -فى رأيه- دون التفكير الوجودى. إنَّه يُدخل شخصيّتين متباينتين فى هذه القصة، كى يصل إلى اعتدال؛ إلى فلسفة سياسية تربط بين الإنسانية والشعور بالمسؤولية لدى "هوغو"، وبين تجنُّب الأخطار وقدرة "هودرر" على قول لا.

الذباب

فى هذه المسرحية يتطرّق سارتر إلى قضيّة هى النقطة الأساسية بالنسبة إليه فى جميع أعماله وكذلک فى حياته؛ ونعنى بهذه القضية الحرية؛ غير أنَّ هذه الحرية لابدَّ أن توجد فى المجالين الميتافيزيقى والاجتماعى. تحكى "الذباب" قصة الاضطرابات والتوتّرات التى تصيب النفس الإنسانية. والقصة هى عن الغرابة الذاتية، والكذب، والخيانة، والانفصال، والجريمة؛ وتتحدّث عقب ذلک كله عن الندامة والمخاوف المحيطة بها.

سن الرشد

يمثّل "سن الرشد" ردّ فعل عنيفاً وصارخاً ضد الجبريّين. فلم يكن سارتر يقبل الجبر، وتحوَّل بتأليف عمله هذا إلى رائد فذٍّ للوجودية.

مفهوم الحرية عند مطاع صفدى

تعرّف الكتاب السوريون إلى الوجودية من خلال الأدب الوجودى، وكان تأثيرها فيهم كبيراً إلى درجة أن الدكتور حسام الخطيب يقول: «إن معظم كتاب الخمسينات استندوا بشكل أو بآخر إلى الأفكار الوجودية.» (الخطيب، ١٩٧٣م: ١٠٨) وكان مطاع صفدى أقوى الأصوات المتبنية لهذا الاتجاه، سواء فى كتاباته النظرية أم فى قصصه ورواياته. وكان تعلقه خاصة بمفهوم الحرية الذى بنى عليه جلّ أعماله. وكان لموقف سارتر الثورى إزاء الحرية الفردية، ودعوته الإنسان إلى تحمل مسؤولية مصيره معتمداً على ذاته أثر مباشر فى تبنى صفدى لهذه الحرية فى كتاباته.

«إن موضوع الحرية الذى احتل مكانة مهمة فى إبداعه الأدبى يعطى لهذا الإبداع وحدة وتماسكاً فى نسيج الأحداث التى تعيشها شخصياته الروائية. وكان يريد من الفرد العربى أن يقف بصلابة لتحمل مسؤولياته والتغلب على كل من يقف فى طريقه، لأنه كان يؤمن أن الإنسان هو المسؤول الأول والأخير عن قدره. وهذه المسؤولية مضاعفة بالنسبة إلى الفرد العربى، لأنه يواجه أحداثاً جساماً تستوجب إرادة متميزة. وأول ما يجب عمله هو التطلع إلى الذات الداخلية لأنها نقطة الانطلاق فى أية عملية تغيير حقيقية. فعلى الإنسان العربى أن يعى ذاته أولاً لكى يسهم بفاعلية فى تحرره و تحرر أمته.» (صفدى، ١٩٦١م (أ): ٩٨)

إن حرية صفدى تخضع لظروف محلية فى حين أن حرية سارتر تنطلق من الحاجة الفردية التى لم يهتم بها صفدى كثيراً لأنه كان يريد الحرية لجميع العرب أينما كانوا. ولم تكن الحرية عنده حرية فرد، بل حرية جماعة ولكن الحريتين لا تتناقضان بل تتكاملان. والحرية الفردية لا تعنى تصرف كل فرد على هواه، بل التصرف حسب الحاجة التى تفرضها المشاعر القومية. ولا يهتم الكاتب بمصالح الفرد التى يمكن أن تعيق عملية التحرر المنشودة ولكنه لا يفصل الهوية الفردية عن الهوية القومية.

الحرية والمجتمع

إن الحرية الفردية جزء من الحرية الجماعية، والجماعة لا يمكن أن تتحرر إذا

كانت حريات الأفراد ناقصة. صحيح أن هناك بعض العثرات الجامدة التى لا يمكن تحريكها، ولكن الإنسان موجود دوماً لإثبات مقدرته على إزالة كل الحواجز التى تقف فى طريقه، وفى كل الحالات لا غنى للإنسان عن الحرية التى تفرض نفسها كإحدى الحقائق الكبرى التى تقدم الحلول لكل مشكلات المجتمع العربى. يقول مطاع صفدى فى روايته "ثائر محترف": «إننا نحن العرب، كنا فى حاجة دائمة إلى ثورات الأفراد من خلال ثورة الجماعة... الثورة ليست مدرسة لتخرج لنا بطلاً، إنها تجربة البطل أمام ذاته أولاً.» (المصدر نفسه "ب": ٢٨٠) إذن يعى صفدى تمام الوعى أن الحرية الفردية جزء من الحرية الجماعية، وبدونها لا معنى لأى حرية أخرى.

مما لا شك فيه أن صفدى يبحث عن أسباب تشويه الوجود الإنسانى فى الظروف الاجتماعية والاقتصادية المغلوطة التى تتحكم فى المجتمع، ويعرف أنه لا يمكن الحصول على الحرية فى مثل هذه الظروف القاسية، ولذلك يدعو إلى الخروج من هذا المأزق عن طريق التمرد والثورة. فحريته أولاً هى رفض لكل ما يحيط بالإنسان من قهر وجور وظلم، ثمّ تحدٍ فى سبيل الاستمرار فى هذه الحياة بانتظار فرصة أفضل تتيح لأبطاله الخروج من مأزقهم. إن تحرر الفرد من كل العوائق التى تسدّ طريقه وحصوله على الحرية المطلقة قاعدة الانطلاق الأولى لتحرير الأمة العربية: «لن يتضح هدف المناضل العربى إلا عندما ينطلق من مشكلة الفرد بالنسبة لذاته إلى مشكلة الفرد بالنسبة لأمته.» (صفدى، ١٩٦٠م: ٣٧٧) فعلى الإنسان أن يؤسس قيمه الخاصة أولاً، ويخلقها من الداخل. ولهذا فإن حنان إحدى شخصيات رواية "ثائر محترف" تقول لفؤاد: «قل لى كيف يمكنك البطولية إن لم تعمل على القضاء على القيم الأخرى التى تناقضها.» (صفدى، ١٩٦١م "ب": ٢٤٦) يبدو هذا الهم الكبير تماما من خلال حاجة الشخصيات إلى الاستقلال عن المجتمع وقيمه المتوارثة. وتتميز شخصيات صفدى بأصالة حقيقية فيما يتعلق بالأفكار الوجودية، وبرفضهم المطلق لكل فكرة تقليدية متوارثة تعيق خلق تصوراتهم الخاصة لحياتهم. ويقفون خاصة فى وجه كل فكرة مجردة تأتى عن طريق الآخر دون إخضاعها إلى المناقشة العقلية التى تثبت صحتها أو خطأها.

الحرية والمسألة الميتافيزيقية

عندما يرى الإنسان نفسه الخالق الوحيد لقيمه، فإنه لا يمكن أن يريد شيئاً آخر غير

الحريــة منبع كل القيم. ضمن هذا المنظور يرفض صفدى وجود قوة ميتافيزيقية تســيّر الإنســان، ويدعو إلى التحرر من ســلطتها: «أريد أن أغتسل من أوهام الآلهة وأن أولد مجدداً.» (المصدر نفسه: ٣١١)

على الإنسان أن يتسلم قدره، ويتحمل مسؤوليته فى مواجهة العالم الذى لا يخضع لأى قــوة خارجية. وعليه أن يخلق طريقه الخاص فى ظل غياب كل ســلطة ميتافيزيقية، لأن حريته المطلقة تتعارض مع وجود مثل هذه السلطة. هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى، الحرية الكاملة فى المجتمعات الإســلامية تعنى الالتزام بما تفرضه الشريعة الإسلامية والخضوع لقيم الخير والابتعاد عن الشر وفق التعاليم الدينية. فلا يمكن مصالحة هذه الضرورة الدينية لحرية صفدى الذى يعتبر أن الإنسان حرية، وليس جوهراً سابقاً لوجوده.

إن الكاتــب يتطلع إلى الوجودية الفرنســية ويأمل أن يجد فيها مــا يعينه على فهم الواقع العربى وإيجاد الحلول المناســبة لمشكلاته. أى إننا لا نستطيع فهم موقف صفدى إلا فى الإطار العام للوجودية.

الحرية الوجودية بين صفدى وسارتر

الحرية هى أساس القيم

إن المتتبع لأدب صفدى يلاحظ أنه يعبر فى كثير من الأحيان عن مشاعر فئة قليلة مــن المثقفين الذين يرفضــون واقعهم ويثورون عليه. إنهم يريــدون إقامة حياة جديدة مســتوحاة من الوجودية الأوربية، وبذلك يتخلصون من كل ما يعدونه قيداً أمام تحرر الفرد العربى. ويمكن أن نعد الكاتب، الناطق الرسمى باســم هذه الفئة المثقفة. إنه يكرس قلمه لرســم الطريق أمام الأجيال التى تريد بناء أســطورة الحرية. وبذلك يقترب من الفيلســوف الوجودى الفرنسى سارتر الذى كرس حياته وقلمه وفلسفته لهدم الحواجز التى تحرم الإنســان حقوقه الطبيعية، والذى آمن طوال حياته بالإنســان وبمقدرته على تأســيس منظومة من القيم تســاعده على العيش دون الرجوع إلى أى مرجع آخر غير ذاته. لقد كتب ســارتر فى كتابه بعنوان الوجود والعدم: «لا يمكن أن تظهر القيم إلا من خلال حرية فاعلة.. وينتج عن ذلك أن حريتى هى الأســاس الوحيد للقيم، ولا يسوّغ

شيء أبداً اختيارى لهذه القيمة أو تلك.» (سارتر، بی‌تا: ٤١)

إن فلسفة سارتر الوجودية تضع ثقتها فى الإنسان وتطالبه بأن يكون المصدر الأول والأخير لحريته. إنها تحاول أن تحرر الإنسان من كل العوائق المادية والروحية. لأن الحرية الحقيقية لا تكتمل إلا من خلال الالتزام بعمل حر، والذى سنرى تأكيده فى تصرفات بعض الشخصيات التى ترفض الخضوع للقيم المتوارثة. فى هذا السياق، تحمل جمل سارتر فى "الذباب" دلالة خاصة: «لا أريد أن أتبع إلاّ طريقى، وعلى كل إنسان أن يخلق طريقه.» (سارتر، ١٣٥٣ش: ١٢٧) وهذا له معنى كبير فى الفلسفة الوجودية، لأنه يفرض على "أورست" بطل سارتر أن يتحمل مسؤولية حريته، وبذلك يخرج عن الطاعة الدينية، لا بل يدعو إلى الثورة ضد أية سلطة دينية والمتمثلة هنا فى الإله جوبيتر: «غريب عن ذاتى، قال أورست، أعلم. خارج الطبيعة، ضد الطبيعة، دون عذر، دون أى مرجع آخر إلا ذاتى. ولكننى لن أعود إلى تحت شريعتك: فأنا مدان أن لا أملك شريعة أخرى غير شريعتى، لن أعود إلى طبيعتك: ألف طريق عبدت فيها والتى تعود إليك، ولكننى لا أستطيع إلا اتباع طريقى الخاص.» (المصدر نفسه: ١٢٨)

إن رسالة أورست توضح أنه على الإنسان أن يتخلى عن كل مطلق خارج عن إرادته إذا أراد أن يعيش حراً وأن يمارس إنسانيته كاملة دون انتقاص. ولم يكن باستطاعته هو أن يفعل ذلك لولا دخوله فى صراع مفتوح مع "جوبيتر" لرفضه الاعتراف بسلطته على الإنسان. وبذلك يكون الإنسان بالنسبة لأورست هو صانع جوهره وحياته.

يبدو صفدى من هذا الجانب قريباً من فكرة سارتر فى "الذباب" من حيث أن الإنسان هو الصانع المطلق لكل قيمه، وعليه أن يؤسس قيمه انطلاقاً من ذاته واعتماداً على خياره الخاص، وأن يتصرف بالاعتماد على فرديته وليس على أى مرجع آخر: «ينبغى أن يعيش الإنسان وفق الإرادة نفسها لا وفق بعض القواعد.» (صفدى، ١٩٦٠م: ٤٨٢) ولكن قبل ذلك لابد له من الثورة على كل سلطة دينية أو عائلية أو ثقافية يمكن أن تعيق تحرره لكى يحصل على فرديته. ولذلك يعلن سمير فى رواية "ثائر محترف" أثناء سهرة راقصة: «يجب أن نقتل الوعى.. هكذا يجب أن نتحرر من النظام، من المراقبة من عينى وعينك، من العمل.. يجب أن ندوس وضوح العقل ورزانة العصور.. يجب أن

نبدأ هكذا من الفصل المتورم، والدم المجنون، والشبق السائل على الشفاه.» (صفدى، ١٩٦١م "ب": ٢٨) إن تحرر الفرد من هذه العوامل الاجتماعية يجعله خالقاً لنفسه وقيمه. فتحاول هيفاء إحدى شخصيات الكاتب فى رواية "جيل القدر" أن تتخطى طبقتها لتكون نفسها، وهى تقول لنبيل: «وإن تجربتى معك هذه لأصدق دليل على أننى أستطيع أن أكون أنا ولا أكون طبقتى، أن تكون لى ميزاتى الخاصة، فضائلى وعيوبى، وآرائى، ولهجتى فى حياتى ووجودى وتفكيرى، وألا أستقى كل ذلك من شىء أعم منّى، خارجى عنى.» (صفدى، ١٩٦٠م: ١٦٥)

إن الشخصيات فى أدبهما مجبرة على الاختيار بعد أن ذهبوا إلى أقصى مدى من الشك المنهجى، وبعد أن رفضوا الاعتراف بالمصادر الأولى والقيم الجاهزة. لقد جعلوا من الحرية المبدأ الأساسى للحقيقة الإنسانية، لأنهم يعتقدون بالعفوية المطلقة للوجود، ضد كل شكل من أشكال الحتمية. نتيجة لذلك فإنهم يتصرفون بحرية دون أى إكراه خارجى. وهذه هى شخصيات صفدى فى "ثائر محترف" تثور ضد القيم المتوارثة. تقول مارى: «إنى أشك أن يكون الطريق إلى الله هو الحب. ليس هناك إلا طريق الثورة وحدها. أنا لا أعرف ما هى هذه الثورة؟ ولكنها ستكون على كل حال تحدياً كاملاً لأى مطلق آخر.» (صفدى، ١٩٦١م "ب": ٥١)

تريد شخصيات صفدى أن تعطى لنفسها أحقية تبنى مشاريعها الخاصة، وأن تخلق ذاتها بذاتها: «إن الثورة معناها أن الفرد بدأ يمتلك ذاته. وعندما تولد الحرية فى روحه لا تكون حياته بعد ذلك إلا قلقاً متزايداً من أجل الاحتفاظ بهذه الحرية.» (صفدى، ١٩٦٠م: ٤٨٠) ضمن هذا الفهم يكون صفدى تلميذاً لسارتر.

فالحرية منبع القلق، لأن كل شىء يعتمد عليها. وإذا كانت هذه الحرية هى أصل الأشياء ومصدر القيم فإنها تكون بذلك دون سند حقيقى لأنها مقطوعة عن كل غاية وليست مرتبطة بأى شكل من أشكال السمو. ولهذا فإن كريم بطل "ثائر محترف" يعانى من عزلة شديدة فى مواجهة بعض القرارات التى يريد اتخاذها والتى تتعلق بحياته الخاصة. وفى الساعات الحرجة من حياته يتردد بين الخيارات لأنه يعرف جيداً أن الفعل الحر يلزمه بتحمل المسؤولية عن ماضيه وحاضره ومستقبله ولا يستطيع إعادة

عقارب الساعة إلى الوراء. مثلاً يتردد كثيراً قبل أن ينخرط فى صف الثورة اللبنانية وبعد أن قضى خمسة عشر عاماً فى إسهام مستمر فى الثورات العربية: «أنا لم أملك أى استعداد نفسى سابق... إننى قد انتهيت من الثورات والمعارك والمظاهرات، تلك الحياة لم أعد أصلح لها. لقد أصبحت فى حاجة إلى التفكير.» (صفدى، ١٩٦١م "ب": ٣٠٩)

«إذا انتقلنا إلى مسرحية سارتر "الأيدى القذرة" لرأينا هذا التردد بالنسبة إلى هوغو فى قتل هودرر. فرغم أن الحزب كلّفه بذلک ولكنه لم يستطع تنفيذ عملية القتل إلا بعد أن دخل إلى مكتب هودرر ووجده يعانق زوجته جسيكا فلم يتمالک أعصابه ووجّه ثلاث رصاصات إلى صدر هودرر كانت كافية لقتله.» (سارتر، ١٣٨٢ش: ١٧٠) إن تردد "صفدى وسارتر" هو تردد ناجم عن الحرية، فمن يمتلک حريته كاملة، فعليه أن يقلق فى مواجهة الخيارات الصعبة، وبالتالى يتردد كثيراً فى الانتقال من مرحلة التأمل إلى مرحلة الفعل.

أبطال صفدى يسيرون إذاً فى طريق معبد مسبقاً من قبل سارتر خاصة فى مسألة الحرية الفردية، والسيطرة عليها وامتلاكها كاملة دون أى انتقاص. بعبارة أخرى، إنهم يرفضون كل حتمية مسبقة مهما كان مصدرها، كما أنهم يؤمنون أن الإنسان لا معنى له إلا إذا امتلک حريته المطلقة بعيداً عن كل مطلق آخر.

الحرية والآخر

لقد كان لخسارة العرب حرب (١٩٤٨م) وإقامة دولة إسرائيل فى قلب الوطن العربى فعل الزلزال الذى كشف عن الزيف الذى يعصف بالحياة العربية. فرسم طريقاً جديدة لابد للأمة من السير عليها حتى تتخلص من واقعها المشين. كان ذلک هو طريق الحرية الذى رسم خيوطه العريضة الفيلسوف الوجودى سارتر، ليس فقط فى مجال تحرر الإنسان من القيم الميتافيزيقية، ولكن أيضاً فى موضوع تحرر الإنسان من محيطه الاجتماعى وقيمه البالية التى تعيق تقدمه.

«وكان همّ صفدى الأساسى هو الوصول بشخصياته إلى درجة متطورة من الشعور بالحرية والمحافظة على هذه الحرية، لأنها أساس كل فعل مبدع.» (إبراهيم، ١٩٦٣م: ٢١٤) وهذا يقربهم من وجود حقيقى أصيل، لأنهم لا يعتمدون على أحد فى كل ما

يفعلون ويقررون. ويظهر ذلک جلياً فی بحث هذه الشخصيات عن استقلالها العاطفی بعيداً عن کل ارتباط عائلی أو عاطفی. هکذا کان کريم بطل "ثائر محترف" الذی يبحث أولاً وأخيراً عن کيفية التحرر من قيود المجتمع وقوانينه. هذا الخيار دفعه بعيداً عن العلاقات العائلية، لأنه يشعر أنها مس خطير فی مسألة الحرية الشخصية.

من أجل هذه الحرية أيضاً تثور إيفيش فی "سن الرشد" لسارتر ضد عالم الکبار وضد التقاليد التی تخضعها لهذا العالم. ولم تکن مؤهلة للاستغناء عن عالم الکبار اقتصادياً وعاطفياً، ولکنها کانت تشعر أن اعتمادها الاقتصادی علی والديها خطر يهدد حريتها واستقلال قرارها: «لم أعد أنا ذاتی اليوم، إننی أعتمد علی الآخرين، وهذا يوم من أجل لا شیء، يوم مخنوق يسرقونه منی.» (سارتر، ١٣٥٢ش: ٦٥) إن البطلة تبحث عن أبعاد شخصيتها التی تميزها عن الآخرين، إنّها لا تؤمن باتباع الکبار فی حياتهم، وترفض القيم التقليدية المتوارثة لأن لها تصورها الخاص النابع من داخلها. ولقد شارک بوريس أخته فی أفکارها التی ترفض الاعتماد علی الآخرين، وکان يتميز بالحذر إزاء کل ما يتلقاه من الآخرين؛ لأنه کان يريد الوصول إلی حريته عن طريق التأمل العقلی الذاتی.

إنّ بطل صفدی -کأبطال سارتر فی "سن الرشد"- عندما يری العلاقات العائلية تمنع حريته وتضيع فرديته فلا يتقيّد بها؛ لأنّ العلاقة مع الآخرين کلما کانت تنطوی علی ضياع الجانب الشخصی والإنسانی، دل ذلک علی أنها وجود زائف حتی وإن کان هذا الوجود فی الإطار العائلی، بينما الوجود الأصيل مع الآخرين هو ذلک اللون من العلاقة بالآخر الذی يعمل علی تأکيد الوجود البشری بکل ما فی هذه الکلمة من معنی، أی إنه يترک الأفراد أحراراً لکی يبرزوا ما فی شخصياتهم من تفرد.

«إنّ کريم لا يتقيّد بالعلاقات العائلية، وفی نفس الوقت يرفض علاقات الحب وتبادل المشاعر التی تقود إلی الزواج، لأنّ أی علاقة عاطفية ستوقعه تحت تأثير الآخر.

مصدر هذا الرفض هو خوف حقيقی من أی خطر قد يتسرب من الآخر حسب النظرية الوجودية.» (ماکوری، ١٩٨٢م: ١٢٧) «لأن الحرية هنا تقدم نفسها للآخر بدلاً من أن تظل المصدر الأول والأخير لکل القيم. ولأن "الجحيم هو الآخر".» (صفدی، ١٩٦١م "ب": ٧٨) فيثور کريم بعد أن تحمل طويلاً صديقته التی بدأت تشکل خطراً

حقيقياً على حريته فيقول: «وتتضاءل مادلينا إلى جانبى، حتى أفقد فى لحظات الشعور بوجودها، فأحس رأسها فجأة يقع على كتفى. كنت أود أن أتحرر منها بسرعة. لا شىء يجعلنى مريضاً مثل شعورى أن أحداً من الآخرين أصبح يتكئ على، يحتاجنى، لا أحب هذه النفخة، هذا الشعور الوهمى بالقدرة على نفع الآخرين. إننى أجهل كيف أكون نافعاً لِذاتى، فكيف للرؤوس الأخرى التى ستلقى على كتفى.» (المصدر نفسه: ۸۱)

«مما لا شک فيه أن الوجود البشرى مستحيل بمعزل عن العالم، فالوجود البشرى هو فى الحقيقة "وجود -فى- العالم"، ويعيش الموجود البشرى فى تفاعل مستمر مع غيره من الموجودات البشرية. هذا وإن العلاقة الأصيلة مع شخص آخر لا يمكن أن تكون أحادية الجانب أو فيها نزوع إلى السيطرة والامتلاک. فهذه العلاقة لا يمكن أن تصل إلى الاتحاد الكامل لأنه على كل فرد أن يحفظ للآخر حريته وتفرده لكى يكون ذاته.» (كامل، ۱۹٦۷م: ۸۲)

يقول كيركغارد: «ينبغى على كل فرد أن يكون ضنيناً فى تعامله وعلاقته بالآخرين.» (ماكورى، ۱۹۸۲م: ۱۲٦) إن هذا المبدأ هو الذى يوجه أبطال صفدى فى علاقاتهم مع الآخرين ولا سيما مع النساء؛ لأنهم يظنون أن الحب يفترض التصرف بحرية الآخر؛ فمادلين ترغب فى أن تتطور علاقتها بكريم إلى الاتحاد، فى حين أن كريم يفلسف الأمور على نحو آخر لأنه يظن أن حبيبته تريد امتلاكه: «إنها إذن تعدّ لمستقبل طويل تقضيه معى. هكذا تمطُّ العواطف نفسها. إنها فى لحظة واحدة تريد أن تحوز على الزمان كله. إنها تريد أن تمتلک المستقبل، مستقبلى أيضاً. أ تكون هذه المرأة قد بدأت تحب حقاً.» (صفدى، ۱۹٦۱م "ب": ۱۰۲) «ونبيل بطل "جيل القدر" -كذلک على هذا الأساس- لا يقبل حب هيفاء التى أعطته كل شىء وتنازلت عن مفاهيمها وكبريائها وتبنت قضاياه، حتى أصبحت شريكته فى القتل.» (صفدى، ۱۹٦۰م: ۲٦۰) هذه الأمثلة تشير إلى «استحالة الحب فى المفهوم الوجودى.» (مهرين، ۱۳٤۳ش: ۳۹)

كذلک سارتر يرى الحب تعبيراً جسدياً بسيطاً، قد يكون ضرورياً ولكنه دون عمق حقيقى. إن العلاقة التى نجدها بين شخصيات سارتر الروائية أو المسرحية تؤكد وجهة نظره. إنه يطرح مشكلة الحب باعتبارها تمثل خطراً حقيقياً على الحرية. ولهذا فإن

شخصياته تعانى من كل علاقة عاطفية تُفرض عليها. فيصبح من المستحيل الوصول إلى السلام المنشود عبر الحب كما وقع لروكنتان فى "الغثيان".

إن الاتحاد الذى بحث عنه روكنتان طويلاً لم يكن إلا وهماً انكشف مع أول ملامسة للواقع: «أنا حر: إنه لايبقى لى أى سبب لكى أعيش، فجميع الأسباب التى حاولتها قد تراخت، ولا أستطيع بعدُ أن أتصور أسبابا أخرى. كم عوّلت على آنى، فى أحرج لحظات إرهابى، وغثياناتى، لكى تنقذنى.. ولم تعُد آنى إلا لتنتزع منى كل أمل. إننى وحيد فى هذا الشارع الأبيض الذى تحفّ به الحدائق. وحيد وحرّ.» (سارتر، ١٩٦٤م "ب": ٢١٩) لقد وقع روكنتان فى فخ الحب لأن آنى لم تكن فى مستوى الأمل. عندما وجب على آنى الاختيار بين قلبها وحريتها اختارت الحرية دون النظر إلى الصدمة التى ستسببها لرفيقها. ومن هنا وجد روكنتان أن حريته فى عزلته ؛لأن الحب الذى يعيش فى القلق مصيره الفشل.

إنّ الآخر عند صفدى وسارتر يمثل عقبة أمام تحقق ذات المرء ويعدّ عائقا أمام حرية الإنسان ولكن هذا ليس بمعنى أنّ الكاتبين يرفضان العلاقة مع الآخرين ويدعوان إلى الانفصال عنهم. فالوجود الفردى الخالص غير ممكن فى نظرتهما ويصعب تسميته بالوجود البشرى؛ هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ الوجود مع الآخرين يكون أصيلاً بمقدار ما يترك الأفراد أحراراً لكى يبرزوا ما فى شخصياتهم من تفرد. فالجماعة الحقة هى التى تسمح بتنوع حقيقى. لا سبيل إلى بناء جماعة أصيلة إلا بكسر طوق هذا الوجود المشوه مع الآخرين. وينبغى تحطيم علاقة الاستلاب التى تحكم العلاقات الإنسانية ويظهر الإحساس بالاستقلال والشعور بالكرامة قبل أن يصبح من الممكن قيام أى علاقة إيجابية.

الحرية والالتزام

لقد أكد سارتر وصفدى على أن الإنسان يجب أن يختار أفعاله ويخلق القيم التى تبررها. وإذا كان صفدى قد حض على اختيار الحرية فإنه كان ينبه دائماً إلى أن المغامرة ليست سهلة بسبب طبيعة المشكلات التى سيواجهها الإنسان. ومن هذه

المشـكلات طبيعة القوى السياسـية المهيمنة على مقدرات الإنسان العربى فى ستينات القرن العشرين. وهكذا وجد أبطاله أنفسهم فى قلب المعركة التى تخوضها الأمة العربية على امتداد ساحة الوطن العربى. فالتزموا مشكلاتها وناضلوا فى صفوف الثوار وكان الهدف من هذه المعارک تحرير الإنسـان العـربى من جهة، ومن جهة أخرى الارتقاء به إلى مسـتوى أعلى من الشعور والوجود. كان هذا جوهر معركة صفدى التى كرس من أجلها قلمه وفكره.

«وكان شـعار صفدى أن الفعل وحده هو القادر على تحرير الفرد والأمة العربية من الاسـتعباد الخارجى والاستعباد الداخلى.» (الخطيب، ١٩٨٣م: ٨٥) والفعل يستوجب الثورة الجماعية لكى يكون مؤثراً فى عالم سـاد فيه الاسـتلاب. وهذا ما دفع صفدى إلى الالتزام السياسى والانضمام إلى صفوف حزب البعث العربى الاشتراكى الذى يمثل رأس الحربة فى النضال السياسى العربى.

لقد كان صفدى يثق بنفسه عندما أكد على ضرورة احترام بعض القيم الإنسانية: حق الحياة، الحرية، المسـاواة فى السياسـة. وكان خوفه كبيراً من أن تُنتقص هذه الحريات فى غمرة تزاحم الأحداث السياسـية، ولذلک حاول دعم وجهة نظره السياسية بأفكار فلسـفية توسع دائرة الرؤيا أمامه ويمكن لشـخصياته الروائية أن تتبناها كما حدث مع كـريم فى "ثائر محـترف" ونبيل فى "جيل القـدر". ولهذا جـاءت أفكارهما تعبيراً عن البعدين السياسـى والفلسفى فى شـخصيتهما موظّفَين فى خدمة هدف واحد هو تحرر الفـرد العربى والأمة العربية. وثورة بطلى روايتيه تجسـيد حقيقى لهذا التوجه فى فكر الكاتب، كما أن الثورة بمعناها الواسـع تعد احدى المحاور الرئيسـية لفلسـفته. وحجته فى ذلک أن الأمة العربية أحوج ما تكون إلى هذه الثورة التى سـتخلصها من استلابها وتخلفهـا. والثورة عمـل جماعى يقضى على العزلة والقلق الفـردى، لأن الهم الجماعى يتغلب على الهموم الفردية. ولكن هذا لا ينفى أن يكون الهم الفردى فى مركز اهتمامات أبطـال صفدى. ويمكن القول إن معركة أبطالـه تتمحور حول هدفين اثنين: تحرير الفرد، وتحريـر الأمة: «العربـى مدعو إلى إعادة النظر فى وجوده الفـردى، وفى وجود الأمة عامة.» (صفدى، ١٩٦٠م: ٤٨٠)

«إن القلق الناتج عن الجمع بين الحرية الفردية والالتزام الجماعى يبدو واضحاً فى موقف نبيل بطل رواية "جيل القدر". على الرغم من أن بطل صفدى قد وصل إلى نتيجة مفادها أن حريته تحتاج إلى التزام يؤكد الذات فى مواجهة الواقع وتفسح الطريق أمام الآخرين للوصول إلى حرياتهم.» (المصدر نفسه: ١٧٠) ولم يكن الواقع السياسى فى سورية يسمح بتطبيق هذه المبادئ. فلقد تميزت الحقبة التى تتحدث عنها الرواية بفوضى سياسية وانقلابات عسكرية متتالية.

إنّ نبيل يتخلّى عن كل اهتماماته الشخصية ليناضل دكتاتورية الشيشكلى ويخلّص الشعب من ظلمه. فنجده يشترك فى مؤامرة قتل الديكتاتور بدافع فردى لا بأمر حزبى. وهو يؤكد فردية دوافعه من وراء القتل أكثر من مرة؛ فمثلاً يقول: «أريد أن أقتل لأننى أريد أن أقتل.» (المصدر نفسه: ٢٥٧) أو يقول: «كلنا لدينا أسبابنا الخاصة لأن نشترك فى القتل.» (المصدر نفسه: ٢٤٥) اختلاف دوافع القتل يدلّ على حفظ الحرية الفردية لشخصيات الرواية، والتقاء هذه الدوافع فى المصير العام للأمة يشهد بالالتزام. وهكذا يجمع صفدى بين الحرية الفردية والالتزام الجماعى.

ويستغل الكاتب هذا الالتزام العقائدى فى روايته الأخرى "ثائر محترف". ويقوم البطل كريم فى شرح الأسباب التى جعلته يلتزم قومياً والأهداف المراد تحقيقها من هذا الالتزام، فيقول: «لم يكن فى حياتنا ما يبعث على الأمل حتى بموت صادق. كنا دائماً نشعر أننا مخدوعون، وأننا لا نكاد ننجو من شرك حتى نقع فى شرك آخر. ومع ذلك كنا نحلم بالآمال الكبرى. سوف نطرد الاستعمار من العالم العربى، سوف نقضى على الفئات الحاكمة، سنحقق الوحدة الشاملة، ونزيل الشقاء عن كاهل شعبنا، وننشىء حضارة عربية جديدة، كانت تلك هى مبررات وجودنا.» (صفدى، ١٩٦١م "ب": ٣١٧)

تظهر هذه الأحلام أن كريماً بطل قومى لا يبحث عن حريته الفردية فقط، ولا يسعى إلى تنظيم تضامن إنسانى، بل يريد تحقيق برنامج سياسى محدد.

«يرى البعض أنّ التوفيق بين الأفكار الوجودية وبين الأفكار القومية، وإجراء مصالحة بين الفكر القومى الملتزم والهادف والمتفائل والمضطرم فى مطلع الخمسينات وبين الفلسفة الوجودية لم يكن من السهل.» (الخطيب، ١٩٨١م: ج١/٩٤) مع ذلك فقد

بـذل بعض الكتاب القوميين من أمثال صفدى جهوداً مضنية لاسـتخدام عناصر الفكر الوجودى فـى معركتهم العقائدية. وهكـذا جرى إضفاء القلق الوجـودى على القلق القومى، وتحويل حرية الاختيار الفردية إلى اختيار حرّ للالتزام القومى.

مما لا شـك فيه أن صفدى صاحب عقيدة يريد نشـرها، كما كان صاحب فلسـفة يسـتخدمها لدعم عقيدته. ولم يكن من السـهل دوماً الجمع بين فلسـفته وعقيدته؛ لأن الأولى مستوردة وتركز على الفرد باعتباره وحدة منفصلة عما حوله؛ أما عقيدته فكانت قومية جذورها ضاربة فى تاريخ أمته وفى حاضرها وفى مسـتقبلها. وإذا كان صفدى قد نجح فى توظيف بعض الأفكار الوجودية فى خدمة معركته القومية فإنه لم يوفق فى توظيـف أفكار أخرى. وهذه النتيجة وصل إليها حسـام الخطيب عندما يقول: «وعلى الرغـم من عمق إدراك الكاتـب لصعوبة التوفيق بين التحرر المطلـق والانتماء، وبين الفردية والقومية، وبين تجربة الانعتاق ومسـتلزمات التأطر الجماعى، وعلى الرغم من محاولتـه البارعة المسـتمرة لمصالحة النقيضين، فإن قومية كريم لم تنسـجم مع وجوديته وبدت مكشـوفة مصطنعة، بل بدت أحياناً مدسوسة عليه، ولا سيما فى مواقف الوعظ التى يناقض بها نفسـه، وفى فوراته القومية ويقينه القومى الذى لا يتناسـب مع إعادة النظر والانسحاب.» (الخطيب، ١٩٩١م: ١٢١)

إن الالتزام يتطلّب تضحية بالذات. فإذا كانت الحرية هى أساس الوجود الإنسانى، فكيف يمكن الالتزام كاملاً دون الانفصال عن الأنا الفردية وفكرة الحرية المصاحبة لهذه الأنا؟

«وقد تكون تجربة سارتر فى هذا المجال مفيدة، لأنها توضح بعض الغموض فى أدب صفدى. لم تمنع الوجودية سـارتر من الاقتراب من الفكر الماركسى والالتزام السياسى والمشـاركة فى مظاهرات العمال فى فرنسـا.» (مهرين، ١٣٤٣ش: ٣٧-٣٦) إنّه حاول التوفيق بين الماركسية ومبدأ الحرية الفردية، بل سعى إلى دمجهما فى مذهب واحد. وقد تجسّـد هذا فى معظم أعماله؛ فمثلا هوغو فى "الأيدى القذرة" هو النموذج المثالى لهذا التوافق، كما كان حال هـودرر، المناضل الصلب الذى يعارض القيم المجردة والفردية للشـاب المثقف هوغو قبل انخراطه فى صفوف الحزب الشـيوعى الفرنسـى. أما برونو

فى "سـن الرشد" فقد وجد نفسـه وحريته عند مقاومته للاحتلال الألمانى: «لقد استعاد حريته من التزامه العميق.» (سارتر، ١٣٥٢ش: ١٤٠) ولو تعمقنا أكثر لوجدنا أن التزام شـخصيات "صفـدى" كان صدى لنداء برونو: «ماذا تنفع الحريـة إذا لم تكن من أجل الالتزام.» (المصدر نفسـه: ١٣٨) «فالالتزام العام لا يقضى على خصوصية الفرد، ولكنه يغطى سوالبه وتناقضاته.» (صفدى، ١٩٦٠م: ٢٤٨)

«بالإضافة إلى ذلک فإن صفدى كان ينشد هذه العلاقة الحتمية بين الإنسان والعالم. وهو فى الوقت الذى سـيرفض فيه اسـتقلال طرف عن آخر فإنه يرفض ذوبان طرف فى آخر. ومن خلال العلاقة الحتمية بين الذات والعالم، فإن كلية أساسية تفرض نفسها على المفكر والأديب والإنسـان العادى. وإن كل تحديد خارج هذه العلاقة سيؤدى إلى تجريـد فارغ، أو إلى مادية عمياء.» (صفـدى، ١٩٦٤م: ٥) بمعنى آخر من يريد أن يهتم بالمشـكلات الاجتماعية والسياسـية عليه أولاً أن يأخذ شـعوراً بذاته، ومعرفة الذات تفترض معرفة الآخر والعمل معه ومن أجله.

«هيفاء: ها أنذا أمامک عارية تماماً إلا من نفسى ومن وحدتى الصافية. نبيل: يجب عليک لكى تسـتطيعى بلوغ أعلى درجة من التوحـد، أن تكونى قادرة كل لحظة على التخلـى حتى عنّى.» (صفدى، ١٩٦٠م: ١٦٨) هذا الحـوار بين رجل وامرأة فى رواية "جيل القدر" يفسر إصرارهما على الاحتفاظ بحريتهما على الرغم مما يجمعهما. ويذكرنا هذا الحوار بالحوار السارترى وطريقته فى معالجة مسألة الحرية. ولقد انطلق سارتر فى اعتباراته الفلسـفية من الإحساس الفردى. ولهذا فإن قيم سارتر تهتم بالدرجة الأولى بالفـرد. وعلى الرغم مـن ذلک، لم يتردد فى الانخراط فى فعـل يحصر الحرية الخاصة ضمن حقيقة مادية وجماعية. لأن الحرية كانت تعنى بالنسبة إليه أن آخذ شعوراً بموقفى أولاً لكى أسـتطيع أن أتجاوزه. وفى المعنى نفسـه فإن أى التزام حر يعد ضرورياً لكى أسـتطيع أن أؤكد ذاتى كسـيد حرّ لأفعالى. هذا يعنى أن الروح الجماعية والرغبة فى الالتزام تولدان داخل الإحساس الفردى.

«إن طريق ماثيو بطل سـارتر فى "سن الرشـد" يجسد هذه المعرفة المتطورة لمثل هذه القيمة: يكتشف الحرية باعتبارها الأساس الوحيد لوجوده الشخصى والضرورة الأخلاقية

لمتابعة هذه الحرية إلى النهاية، يعى وجوده الفردى والجماعى فى الوقت نفسه، ويعرف أن حريته تكمن فى التزامه.» (سارتر، ١٣٥٢ش: ١٣٨) إن حالة ماثيو تشهد على محاولة سارتر التوفيق بين الحرية الفردية والحرية الجماعية. وقد اتكأ صفدى فى ذلک على سارتر خاصة عندما يعلن أحد أبطاله: «لن يتضح هدف المناضل العربى إلا عندما ينطلق من مشكلة الفرد بالنسبة لذاته إلى مشكلة الفرد بالنسبة لأمته.» (صفدى، ١٩٦٠م: ٣٧٧)

«إن الإحساس الفردى إذن، هنا ضرورى لامتلاک الحرية التى تعد أساس كل التزام حر. لأن الإنسان يكتشف من خلال حريته اعتماده النسبى على حريات الآخرين، وهكذا يجب أن يمتلک الآخرون حريتهم من أجل أن يصل هو إلى حريته. العلاقة جدلية إذن بين الحرية الفردية والحرية الجماعية. هذا لا يعنى أن الحرية التى هى جوهر الإنسان من وجهة نظر وجودية، تعتمد على الآخر، ولكن منذ أن يحصل الالتزام الحر، فإن الإنسان مجبر على إرادة الحرية للآخرين بالإضافة إلى حريته؛ ولا يمكن أن يعد حريته هدفاً دون أن تكون حرية الآخرين كذلک.» (سارتر، ١٣٦١ش: ٦٩-٦٨) هذا هو المشكلة الرئيسية التى يطرحها صفدى منذ الثلث الأول من رواية "جيل القدر" على لسان بطله نبيل الذى يقول لهيفاء الراغبة فى أن تكون سيدة وجودها فحسب: «لكى تمارسى حريتک يجب أن تحررى العالم، وتبدأى تحريرک هذا من الخلية الأولى التى لک من العالم. من قومک.» (صفدى، ١٩٦٠م: ١٧٠)

النتيجة

بناءً على هذا المقال نستنتج أن مطاع صفدى يعتبر تلميذاً لسارتر فى فكرة الحرية، ولكى نفهم معنى الحرية عند صفدى من الأفضل أن نعود ونستند إلى سارتر وأفكاره فى هذا المجال.

الإنسان عند صفدى حر وهو الخالق المطلق لقيمه كما نرى عند سارتر، وهو لكى يعيش حراً ويمارس إنسانيته كاملة دون انتقاص عليه أن يثور ضد كل سلطة دينية، أو عائلية، أو ثقافية يمكن أن تعيق تحرره. وعليه أيضا أن يجتاز العوائق المادية والروحية وأن يحرّر نفسه من القيم المتوارثة والميتافيزيقية، وأن يتخلى عن كل مطلق خارج عن إرادته؛ ينتج عن ذلک المسؤولية الكاملة للإنسان تجاه حياته وقدره. فهو حر فى اختياره، وعليه

أن يلتزم بهذا الاختيار ثم أن يكون مسؤولاً عن خياره؛ لأن فكرة المسؤولية لا تنفصل عن الحرية. صحيح أن هذه الحرية والمسؤولية المترتبة عليها تثير القلق للإنسان إلا أن هذا القلق الوجودى إيجابى وبنّاء بحيث يدفع صاحبه إلى حسن الاختيار.

الحرية عند صفدى لا تعنى الانفصال عن الآخرين والكاتب لا ينفى العلاقة معهم نفياً تاماً، بل هو كسارتر يراها أصيلة بمقدار ما تترك الأفراد أحراراً لكى يبرزوا ما فى شخصياتهم من تفرد؛ فلا سبيل إلى بناء جماعة أصيلة إلا بكسر طوق الوجود المشوه مع الآخرين.

لا يعتقد سارتر ولا صفدى بأى تناقض بين الحرية الفردية والالتزام الجماعى، وبما أن الوجود البشرى هو "وجود –فى– العالم" فيمكن أن يجمع بينهما؛ الحرية تعنى أن الإنسان يأخذ شعوراً بموقفه أولاً لكى يستطيع أن يتجاوزه. فى هذا المجال فإنّ أى التزام حر يعد ضرورياً لكى يستطيع أن يؤكد ذاته كسيّد حرّ لأفعاله. نتيجة لذلك فالروح الجماعية والرغبة فى الالتزام تولدان داخل الإحساس الفردى. فى موضوع الحرية، الفرق الوحيد بين صفدى وسارتر هو أن حرية سارتر تنطلق من الحاجة الفردية، فى حين تكون الحرية عند صفدى حرية جماعة ولكن الحريتين لا تتناقضان بل تقربان الكاتبين من فكرة الآخر. والسبب أن الحرية الفردية جزء من الحرية الجماعية، والجماعة لا يمكن أن تتحرر إذا كانت حريات الأفراد ناقصة، ولهذا لا يفصل صفدى الهوية الفردية عن الهوية القومية.

المصادر والمراجع

إبراهيم، زكريا. (١٩٦٣م). مشكلة الحرية. لاط. القاهرة: مكتبة مصر.

استراترن، پل. (١٣٧٨ش). آشنايي با كيركگور. ترجمه على جواد زاده. لاط. طهران: نشر مركز.

الأطرش، محمود إبراهيم. (١٩٨٢م). اتجاهات القصة فى سورية بعد الحرب العالمية الثانية. لاط. دمشق– سورية: دار السؤال.

بدوى، عبدالرحمن. (١٩٨٠م). دراسات فى الفلسفة الوجودية. الطبعة الأولى. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

الخطيب، حسام. (١٩٨٣م). روايات تحت المجهر. لاط. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

ـــــــــ (١٩٨١م). الأدب المقارن. ج٢. لاط. دمشق: مطبعة الإنشاء.

ـــــــــ (١٩٩١م). سبل المؤثرات الأجنبية وأشكالها فى القصة السورية. الطبعة الخامسة. دمشق – سورية: مطابع الإدارة السياسية.

ـــــــــ (١٩٧٣م). «نماذج من المزاوجة الوجودية – القومية فى القصة السورية الحديثة». مجلة المعرفة. وزارة الثقافة والإرشاد القومى. دمشق. العدد١٣٧. صص ١٢٩–١٠٥.

سارتر، جان بول. (١٩٦٤م "أ"). الوجودية مذهب انسانى. ترجمة عبدالمنعم الحفنى. الطبعة الأولى. القاهرة: مطبعة الدار المصرية.

ـــــــــ (١٩٦٤م "ب"). الغثيان. ترجمة د. سهيل إدريس. لاط. بيروت: دارالآداب.

ـــــــــ (١٣٦١ش). اگزيستانسياليسم و اصالت بشر. ترجمه مصطفى رحيمى. الطبعة الثامنة. طهران: مروارید.

ـــــــــ (١٣٨٢ش). دست‌های آلوده. ترجمه جلال آل احمد. الطبعة الثامنة. طهران: انتشارات فردوس.

ـــــــــ (١٣٥٢ش). سن عقل. ترجمه محمود جزايرى. الطبعة الأولى. طهران: انتشارات اميركبير.

ـــــــــ (١٣٥٣ش). مگس‌ها. ترجمه سيما كويان. الطبعة الأولى. لامک: انتشارات مازيار.

ـــــــــ (لاتا). هستى و نيستى. ترجمه عنايت الله شكيبا پور. لاط. لامک: انتشارات شهريار.

صفدى، مطاع. (١٩٦١م "أ"). الحرية والوجود. الطبعة الأولى. بيروت: دار مكتبة الحياة.

ـــــــــ (١٩٦١م "ب"). ثائر محترف. بيروت: دار الطليعة.

ـــــــــ (١٩٦٠م). جيل القدر. لاط. بيروت: دار الطليعة.

ـــــــــ (١٩٦٤م). «سارتر بين الوجودية والماركسية». مجلة الآداب البيروتية. السنة الثانية العشرة. العدد١٢. صص ٤–٦ و٧٣.

غالب، مصطفى. (١٩٩٠م). فى سبيل موسوعة فلسفية. لاط. بيروت: دار الهلال.

كامل، فؤاد. (لاتا). الغير فى فلسفة سارتر. لاط. مصر: دارالمعارف.

ماكورى، جون. (١٩٨٢م). الوجودية. ترجمة د. إمام عبدالفتاح إمام. لاط. الكويت: عالم المعرفة.

مردوک، آيريس. (١٣٥٣ش). نقد و بررسى رمان‌های ژان پل سارتر. ترجمه.م.ح. عباسپور تميجانى. الطبعة الأولى. طهران: انتشارات مروارید.

مهرين، مهرداد. (١٣٤٣ش). مكتب فلسفى اگزيستانسياليسم. الطبعة الأولى. طهران: انتشارات آسيا.

نصرى، عبدالله. (١٣٧٥ش). خدا و انسان در فلسفه ياسپرس. الطبعة الأولى. لامک: انتشارات آذرخش.